منظومة كالمسابح فسمع صوتها الخفيف فاثر في دماغهِ المتعب تأثير الصوت العظيم . وامثلة ذلك كثيرة

الثالث قلة الصور الذهنيَّة حين الانتباه إلى صورة منها فان جلاء الصور يقل بكثرتها ويزيد بقلتها. وقد ابان الاستاذ جمس انهُ اذا ضعف ائتلاف الافكار كثرت الخيالات كما يحدث في الاستهواء والتنويم المغنطيسي كأن الابواب ٱلَّتي تخرج منها الافكار مصارف تصرف منها القوى من الدماغ فاذا سُدَّ بعض هذه الابواب اضطرت القوى ان تنصرف من الابواب الباقية بشدَّة . وهٰذا شأن الانسان في النوم فان المشاعر الظاهرة تتوقف عن عملها واحدًا بعد الآخر فتنصرف قوة الدماغ الى صور الخيال الباطنة فتظهر جليَّا مع انها تكون خفيَّة في اليقظة لتوزع قوة الدماغ عليها وعَلَى المحسوسات . وتكون هذه الصور الخياليَّة عَلَى اجلاها عند اول النوم كأن الانسان يعي الطرف الاخير من المحسوسات فينصب ذهنهُ عليهِ و يوشحهُ بكل صور الخيال

ومَن عانى النظم والانشاء يعلم انهُ اذا اراد الابداع في الوصف اضطرَّ ان يصرف فكرهُ عن المحسوسات حتى لا يعود يعي شيئًا ممَّا يجري حولهُ و يصبهُ على الصور العقليَّة ٱلَّتي في ذهنهِ

والخيالة ٱلَّتي نرى صورتها كأنها شبح قائم امامنا او نسمع صوتها كأنها تتكلم في اذننا قد تكون صورتها واضحة في ذهننا كما هي واضحة امامنا وقد لا نشعر بها الاَّ في الخارج اما خلل في آلات الحس او لان الوجدان اغضى عن صورتها العقليَّة فنسيها

وللخيالات سبب آخر وهو اختلال الدم الدائر في الدماغ اما في كميتهِ او في كيفيتهِ وقد بسطنا ذلك في المجلد السابع من المقتطف

هذه هي الاسباب ٱلَّتي تعلل بها الخيالات فاذا راجعت الامثلة ٱلَّتي ذكرناها في الجزء الماضي رأيت انها تعلَّل بها ولاسيما السبب الثالث منها

الموت (١)

وقد ترجمت عن الانكليزية بقلم الشاعر المجيد نسيم افندي صيقع

كم للطبيعة اسلوبًا من الكلمِ لدى المناجاةِ عند السامع الفهمِ
آنَ السرورِ تُريهِ من معالمها آياتِ حسنٍ وتُبدي ثغرَ مبتسمِ

(1) Thanatopsis by William Cullen Bryant

وتشغل المرء عن همٍّ اذا ضربت جنودهُ في فؤادٍ واسعِ الحيمِ
تنسي متاعبك الجلى برؤيتها ذاتَ العطافِ بهِ يشفى ذوو السقمِ
اذا تولاكَ حزنٌ من تصورك النومَ الاخير كسمٍّ دسَّ في الدسمِ
وان تجلَّت خيالات المنية والـبيت الاخير باثوابٍ من الظلمِ
وغادرتكَ حزيناً خائفاً وَجِلاً كواقفٍ تحت سيفِ البؤسِ والنقمِ
فاذهب الى واسع البر الفسيح أعزّ صوت الطبيعةِ سمعاً فهوَ من حكمِ
صوتٌ من الارض والماء المحيط بها يأتي رسولاً ولكن غير محتشمِ
يقولُ بعد قليلٍ سوف تحجب عن "مكامن الارض والغيطانِ والأكمِ"
فلا تراك بها شمسٌ اذا طلعت عند الصباح كشكاةٍ لذي الامم
تقرُّ جثتك الصفراء في جدثٍ عليهِ سالت دموعُ الاهل كالديمِ
فالارض غذتك اياماً وقد طلبت بعد انتظامك عوداً غير منتظمِ
وللتراب تحلُّ الجسمَ ثانيةً ولو رأتكَ لذاك الحلِّ لم تَرُمِ
واذ تُعريكَ عن شكلٍ يخصُّ بهِ بنو البرية من عربٍ ومن عجمِ
مع العناصر تغدو بعد ممتزجاً وتشبهُ الصخرَ بالتركيبِ والصممِ
او تلعةً صاحبُ المحراثِ يقلبها وليس تشكو اليهِ وطأةَ القدمِ
ويخرقُ الجذر جسماً بات منخفضاً ولم يكن يرتضي داراً على هرمِ
فهذه سنّةُ الدنيا وساكنها مفارق الاهل واخلانِ والحشمِ
فاصبر على حكمها يا صاح مقتنعاً بمضجعٍ فيهِ ادلُ العزِّ والنعمِ
واعلم بانك لا تجتازُ منفرداً الى مقرٍّ عليهِ سيمة العظمِ
فمع بطاركة العهد القديم وابـطالِ الزمان واهل الجودِ والكرمِ
مع الملوك وربات الجمال ومع اهل الصلاح الاولى امتازوا بفضلهمِ
وما الجبالُ ألّتي عزّت بمنعتها وكلل الثلجُ منها شامخَ القممِ
في صخرها مطمئنُّ الارض منتشرٌ كشاخص نحو طيفٍ غير منهزمِ
وما المياهُ التي تنسابُ جاريةً مثل اللجين بروضِ الورد والعنمِ
وما الجداولُ في الغابات سائرةً لملكِ بحرٍ تردى حلة الحرمِ
الّا زخارفُ للقبر الذي وجد الانسانُ فيهِ مقرَّ الناسِ كلهمِ
وما الكواكبُ والشمسُ السنيّةُ والـبدرُ المنيرُ على الآكام والأجمِ

وكلُّ سيَّارةٍ في الخافقين بدَتْ ... للناس الاَّ كمصباحٍ لقبرهمِ
تضيء ما كرَّت الايام هادئةً ... ويخبلي نورها نارًا على علَمِ
ناشدتكَ الله قل لي هل تشاهدُ من ... اهل البسيطة معشارًا لعشرهمِ
لو صحَّ ذلك او ما دونَ ذا ازدحمت ... مهامهُ الارضِ فيهم ايَّ مزدحمِ
فقم بنا نتَّخذ حُجَّ الصباح الى ... صحراء بُرقة نستقصي عن الرممِ
او ان وصلنَ الى الغابات تخرُقها الانهارُ في معزلٍ عن واردٍ فهمِ
فلست تلقى بها حيًّا وقد دُفنت ... بها الملايينُ ممن مات في القِدَمِ
فكم وكم من اناسٍ طيَّها وضعوا ... احبَّةً وبكوا إطباقَ جفنهمِ
هناك ملك الاولى ماتوا ويتبعهم ... كلُّ الانام بنوم مثل نومهمِ
سيَّان بين اصيحابٍ تشيعهم ... او في ديارٍ ولا باكٍ لموتهمِ
وقد ترى عند دفن الميت كلَّ فتىً ... تبدو عليهِ سماتُ الحزنِ والندمِ
متى انثنى راجعًا تلقاهُ مبتسماً ... كانهُ نالَ عمرًا غير منصرمِ
وغيرهُ في ديارِ اللهو مغتنمًا ... شرب المدام على الاوتار والنغمِ
وغيرهُ يقضا الحاجات منهمكًا ... بين الأُصيحاب والاعوان والخدمِ
لا تجزعنَّ فكلٌّ سوف يترك ما ... يعيقهُ لأُناسٍ من ذوي الرحمِ
وطالما موكبُ الايَّام مرتحلٌ ... امامنا ونراهُ غير منقسمِ
فكلُّ ذي نسمةٍ من فارسٍ بطلٍ ... او من همامٍ كريم الاصل والشيمِ
او من فطيمٍ عليهِ المرضعات حنت ... او من فتيٍّ علىَّ البأس والهممِ
سيقتفيكَ الى قبرٍ تنام بهِ ... مستلقيًا في فراشٍ منهُ لم يقمِ
فعشْ هنيئًا واصحابًا عرفتهمُ ... حتى ترى الموت يدعو خالدَ النسمِ
يومي اليك لسيرٍ إثرَ قافلةٍ ... سارت بركبٍ بموج الموت ملتطمِ
الى ديارٍ باسرارٍ محجبةٍ ... بها أناخت ولاهُ السيفِ والقلمِ
كلٌّ لهُ غرفةٌ للنوم صامتةٌ ... وحارسُ الموت فيها قطُّ لم ينمِ
فلا تكن مثل عبدٍ ليس يرجعهُ ... استجنحٍ غيرُ ما يرميهِ بالألمِ
بل ذا ثباتٍ وإيمانٍ يوطدهُ ... حبُّ الذي اوجد الانسان من عدمِ
واقربْ من القبر بسَّامًا ومبتهجًا ... واجعل رجاءك حبلاً غير منفصمِ
كجامعِ السجف ليلاً حول مضجعهِ ... ووالجِ عالمَ اللذَّات والحلمِ